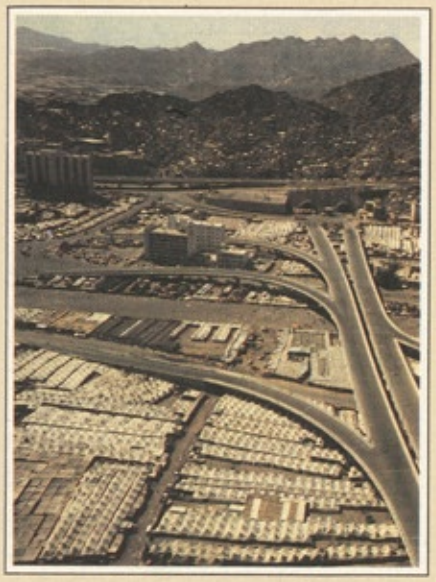

نحن .. دولة محسودة

بقلم : زهير محمد جميل كتبي

قال خادم الحرمين الشريفين أمام ضيوف ورؤساء بعثات الحج الرسمية ، في يوم الجمعة الموافق ١٤٠٩/١٢/١١ هـ ، قال حفظه الله : « نحن دولة محسودة » ، هذه العبارة كونت لديَّ سؤالا وهو : لماذا نحن دولة محسودة ؟

نستطيع ان نقول : ان الحسد ضد هذه البلاد المقدسة جاء من اعدائها نتيجة عدد من العوامل لعل في مقدمتها :

- التمسك والالتزام بعقيدة التوحيد ، وشريعة الاسلام .
- الموقع الجغرافي الاستراتيجي الهام .
- امتلاكنا لثروة وطنية قيمة .
- الاستقرار الوطني .
- الاستقرار والرخاء في المجال الاقتصادي .
- نحن أمة تاريخ وحضارة .

ولقد تفضل - حفظه الله - في عدة مناسبات وحفلات متفرقة ، بشرح تلك المرتكزات . وسنقوم نحن بشرحها بأسلوبنا المتواضع . وأبو فيصل يؤدي واجبه الوطني ومسؤوليته الانسانية ، رغم كبر حجم مهامه ومسؤولياته الضخمة . فهو مناضل من أجل استمرار دفع الراية الخضراء . انها راية عقيدتنا التوحيد ، بهدف ان يكون المسلمون أمة واحدة ، ذات مصير واحد ، وهدف واحد ، وكلمة واحدة ، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . نحن أمة أحكمت المعتقد والفرض والسنة التي جاء بها سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، الذي بعثه الله بأكمل المناهج . والطرق للناس أجمعين فأخرج الناس من الظلمات الى النور ، وهداهم الى صراط العزيز الحميد . وجعل امته خير أمة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله . فأراد الله لنا الخير فكنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم . فكانت هذه القيادة الحكيمة تسير على هذا النهج القويم ، فعصمهم الله سبحانه وتعالى ان يجتمعوا على ضلالة ، فرضوا بالاسلام دينا ، وأظهروه على الدين كله اظهارا بالنصرة والتمكين بالحجة والتبيين . وأكرموا العلم والعلماء ، ورجال الفكر والأدب . لايزالون ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم ولا من خذلهم . وحفظوا القرآن الكريم ، من التحريف والتزييف ، فحفظهم سبحانه وتعالى ، وحفظ أمنهم واستقرارهم ، وميزوا بين اسلوب الصدق والكذب ، فعرفوا الحقائق . فأظهر الله بهم النور من الظلمة .

دعوا الى كلمة الحق ، لاحقاقه ، وبينوا الكفر من الايمان ، والهدى من الضلال ، والزيغ من السداد ، والغي من الرشاد ، والنجاة من الوبال ، ونهوا عن الفعل اذا كان يفضي الى مفسدة ، وليس فيه مصلحة ومنفعة راجحة للجميع .

وجميع مايفعلونه فيه الخير والسعادة للمسلمين والاسلام . فربطت السعادة مع اصلاح العمل ، واحبطت الاعمال غير الصالحة .

شجعوا طلب العلم ، الذي يلزم الانسان ويخدمه في دينه ودنياه ، وادركوا ان العلم ضروري لبقاء الدولة ، وشموخها . فكان العلم صلاحا للقلب والنفس معا ، فعشنا زهوا حضاريا عريقا بني على أسس عقيدتنا .

وأما عن الموقع الجغرافي الاستراتيجي الهام ، فان المملكة العربية السعودية دولة واسعة الرقعة ، وهي ذات مساحة مترامية الاطراف حيث تبلغ مساحتها (٢,٢٥٠,٠٠٠) كيلومتر مربع تقريبا . وهي ثاني أكبر دولة عربية - من حيث المساحة - بعد السودان .

• نحن أمة أحكمت المعتقد والفرض والسنة .. ونحن دولة متقدمة علمياً وعملياً وحضارياً .. ونعيش كل معطيات الحضارة الحديثة .

وتستأثر المملكة العربية السعودية بنحو ٨٠٪ من مساحة شبه الجزيرة العربية .

والمملكه العربية السعودية تملك ساحلين طويلين هما :

- ساحلها على الخليج العربي ، وهو منفذها الى الشرق .
- ساحلها على البحر الاحمر ، من خليج العقبة شمالا حتى اليمن جنوبا ، وهو منفذها الى الغرب .

كما تمتد المملكة نحو ٢٢ درجة من درجات الطول ، و ١٦ درجة من درجات العرض .

وتجاور السعودية بلادا عربية من جميع الجهات الاربع ، ويبلغ طول الشاطىء المحاذي للبحر الاحمر نحو ١٨٠٠ كيلومتر ، اما الشاطىء فى الشرق فيبلغ نحو ٥٣٠ كيلومترا .

وتبلغ حدودها الشمالية ٣٧٠٠ كيلومتر ، اما حدودها الشرقية والجنوبية فتبلغ ٥١٦٠ كيلومترا .

هذا الموقع ، وهذه السواحل الزرقاء ، كانت دافعا من دوافع الحسد والحقد على هذه الدولة المستقرة . لان مثل هذه الظواهر الجغرافية تشكل خطرا على أمن واستقرار الدولة . والمملكة العربية السعودية بهذا الشكل الكبير كأنما هي قارة مستقلة بذاتها . ورغم كل تلك الخطورة التي تحيط بها فان مفهومات اساسية قد نضجت واستقرت على أرضها ، لتكون معنى « الاستقرار » و « الامن » كلها خلقت مفهوم « دولة » كاملة متكاملة ترتكز على أسس قوية ومتينة . بعدها ظهرت مصطلحات جديدة وقفت عندها النظريات الحديثة لتكوين مفاهيم مثل « شعب مخلص » و « أمة واحدة متماسكة » فصارت السعودية (أمة ، دولة) وكانت هدفا استراتيجيا .

وهذه الارض التي تعيش عليها دولتنا القوية بعقيدتها ، والمفتخرة بتاريخها الماضي والحديث ، تحمل في بطنها الخير كل الخير لابنائها . وقد كونت تلك الخيرات اتصالا متطابقا عندما تكونت الدولة . فلم تنفصل تلك المفاهيم عن بعضها البعض ، بل - العكس - كانت تلك الخيرات بمثابة عمود قوي صلب قامت عليه عمارة شامخة .

اكتشف « البترول » واحسن استغلاله ، في بناء وتشييد صروح شامخة حضارية ، تطابقت مع المفهومات الاساسية ، فأصبحنا وطنا يمتلك « ثروة » وطنية ، كونت تلك « الثروة » « اقتصادا » قويا ومتينا لقيامه على أسس العقيدة الاسلامية السمحة . وأدى هذا التفاعل الى بروز وتمركز معاني المفاهيم « الاستقرار ، والامن ، والهدوء » فبلغت تلك المفاهيم غاياتها العميقة .

لقد حددت لنا عقيدتنا الاسلامية فهمنا لمعاني « الاقتصاد » فرصدنا تلك المفاهيم للاحداث والوقائع الاقتصادية العالمية ، وعرفنا بقوة وصلابة اقتصادنا المتين . تختلف مظاهره ومصادره وغاياته عن العمليات المتدهورة التي نسمع عنها في عالمنا اليوم . فتبين لنا وللعالم كله الظروف التي دفعت باقتصادنا للثبات رغم تعرض الاقتصاد العالمي لامواج وتيارات تدفعه تارة نحو اليمين ، وأخرى نحو اليسار . لهذا لم نخضع لفتن الاقتصاد العالمي . وعند طرح العلل والاسباب نتأكد أن تكون العقيدة الاسلامية هي وراء ذلك الثبات .

ومن طبائع الأشياء ان تكون دولة قوية بعقيدتها لابد لها من تفاعل تاريخي منذ بواكيرها الاولى حتى اليوم . كان لابد من مرور السنين لتقترب وتتفاعل تلك المفاهيم لتكون امة ذات تاريخ ، وهذا التاريخ النضالي شكل ملامح هذه الحضارة العربية المسلمة .

انتظرنا ، انتظار صبر ، لا انتظار قلق ، فكانت النتيجة هي هذه « الدولة » . بعد مراحل البناء والتشييد والتنظيم تفاعلنا مع نتائج اقتصادية ، وبشرية ذات أهمية خاصة لاسيما على سلوك الفرد العربي السعودي المسلم ، الذي يعيش حياة الرغد والرفاهية والسعادة .

وتلك التطورات الهائلة ، قد أعدتنا لأدوار ومراحل جديدة ، يتقدمها دخولنا المسار الحضاري الذي تعيشه دول العالم المتقدمة . ونحن لانقبل ان يطلق علينا .. دولة نامية .. بل نقول : وللعالم اجمع .. نحن دولة متقدمة علميا وعمليا وحضاريا .. ونعيش كل معطيات الحضارة ، خاصة اننا أمة تستمد قوتها من عقيدة « التوحيد » ، وهذه الميزة لاتمتلكها الدول المتقدمة .

اننا عندما نورد هذه اللمحات التاريخية . نردفها بقولنا : ان سيرنا نحو طريق الرقي والتقدم والنجاح ، وهو المسار الصحيح ، يعتبر حقا تاريخيا لنا ، من أجل قوة الحق والعدالة ، واقامة السلام على هذه البسيطة . لاننا بعيدون عن المصادمات الدموية ، والرجفات الاجتماعية ، والفتن الاقتصادية ، والتراجعات النفسية ، والتناور السياسي ، والاخفاقات الحزبية ، والصراعات الحدودية ، والافكار المنحلة .

نعم .. نحن بعيدون كل البعد ، عن هذه الاجواء المقلقة ، لذلك كنا دولة محسودة على هذه النعم والخيرات التي تعيشها وحدتنا في اطار هذا الكيان العملاق « المملكة العربية السعودية » .